

شرح رياض الصالحين ١١ - فضيلة الشيخ خالد إسماعيل

خالد إسماعيل

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمد عبده ورسوله اما بعد فنواصل قراءتنا من كتاب رياض الصالحين - [00:00:03](#)

الامام النووي رحمه الله تعالى وذكر الامام النووي رحمه الله تعالى في باب التوبة حديث توبة في كعب ابن مالك رضي الله عنه وهو حديث طويل رأيت ان نكتفي بقراءته في هذا المجلس - [00:00:18](#)

وان شاء الله في المجلس القادم نمر على شيء من الدروس والعبر في هذا الحديث. قال عن عبدالله بن كعب بن مالك وكان قائد كعب رضي الله عنه من بني حنين عمي - [00:00:38](#)

قال سمعت كعب بن مالك رضي الله عنه يحدث بحديثه حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك قال كعب لم اتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها قط - [00:00:56](#)

الا في غزوة تبوك. غير اني قد تخلفت في غزوة بدر ولم يعاتب احد تخلف عنها او قال ولم يعاتب احد تخلف عنه انما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون يريدون غير قريش حتى جمع الله تعالى بينهم وبين عدوهم - [00:01:14](#)

على غير ميعاد. ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة. حين توافقتنا على الاسلام وما احب ان لي بها مشهد بدر. وان كانت بدر اذكر في الناس منها. وكان من خبري حين تخلفت عن - [00:01:37](#)

الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك اني لم اكن قط اقوى ولا ايسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة. والله ما جمعت قبلها راحلتين قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة. ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الا وراء بغيرها. حتى - [00:01:57](#)

كانت تلك الغزوة فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد. واستقبل سفرا بعيدا ومفازا. واستقبل عددا كثيرا تجلى للمسلمين امرهم ليتأهبوا اهبة غزوهم فاخبرهم بوجههم الذي يريد - [00:02:20](#)

والمسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير. ولا يجمعهم كتاب حافظ. يريد بذلك الديوان. قال كعب وقل رجل يريد ان يتغيب الا ظن ان ذلك سيخفى به ما لم ينزل فيه وحي من الله - [00:02:40](#)

وغزى رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال فانا اليها اصعر يعني اميل. فتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه. وطفق اغدو لكي اتجهز معه. فارجع ولم اقض شيئا - [00:02:58](#)

واقول في نفسي انا قادر على ذلك اذا اردت فلم يزل يتمادي بي حتى حتى استمر بالناس الجد فاصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غاديا والمسلمون معه ولم اقض من جهازي شيئا - [00:03:21](#)

ثم غدوت فرجعت ولم اقض شيئا فلم يزل يتمادي بي حتى اسرعوا وتفارق الغزو فهممت ان ارتحل فادركهم فيا ليتني فعلت ثم لم يقدر ذلك لي فطفقت اذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم يحزنني اني لا ارى لي اسوة الا - [00:03:41](#)

رجلا مغموصا عليه في النفاق. يعني مطعوننا عليه في النفاق. او رجلا ممن عذر الله تعالى من الضعفاء ولم يذكرني رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك. فقال وهو جالس في القوم بتبوك. ما فعل كعب بن مالك؟ فقال - [00:04:09](#)

رجل من بني سلمة يا رسول الله حبسه برداه والنظر في عطفه فقال له معاذ بن جبل رضي الله عنه بئس ما قلت. والله يا رسول الله ما علمنا عليه الا خيرا - [00:04:28](#)

فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم. فبينما هو على ذلك رأى رجلا قال رأى رجلا مبيضا يزول به السراب يعني يلبس البياض يزول

به السراب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن ابا خيثة. فاذا هو ابو خيثة الانصاري. وهو الذي تصدق بصاع التمر حين -

[00:04:43](#)

المنافقون قال كعب فلما بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه قافلا من تبوك قال حضرنى بئى. يعنى حزنى الشديد.

[00:05:08](#) فطفقت اذكر الكذب. واقول بما اخرج من سخطه غدا -

واستعين على ذلك بكل ذى رأى من اهلى. فلما قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اطل قادما زاح عني حتى عرفت انى لم

انجو منه بشيء ابدأ. فاجمعت صدقه. واصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادما - [00:05:29](#)

وكان اذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس. وفي رواية انه كان لا يقدم من سفر الا نهارا في الضحى. فاذا

قدم بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين ثم جلس فيه - [00:05:49](#)

الناس قال فلما فعل ذلك جاءه المخلفون يعتذرون اليه ويحلفون له وكانوا بضعا وثمانين رجلا قبل منهم علانيتهم وبايعهم واستغفروا

لهم وكل سرائرهم الى الله تعالى حتى جئت. فلما سلمت - [00:06:10](#)

تبسم تبسم المغضب. ثم قال تعال فجئت امشي حتى جلست بين يديه. فقال لي ما خلفك الم تكن قد ابتعت ظهرك يعنى اشتريت

راحتك؟ قال كعب قلت يا رسول الله انى والله لو جلست - [00:06:30](#)

لست عند غيرك من اهل الدنيا لرأيت انى ساخرج من سخطه بعذر لقد اعطيت جدلا. ولكننى والله لقد علمت لان حدثتك اليوم حديث

كذب ترضى به عني لاوشكن الله يسخطك علي. وان حدثتك حديث صدق - [00:06:55](#)

تجد علي فيه انى لارجو فيه عقب الله عز وجل. والله ما كان لي من عذر. والله ما كنت قط اقوى ولا ايسر منى حين تخلفت عنك.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم - [00:07:17](#)

اما هذا فقد صدق. فقم حتى يقضى الله فيك. وسار الرجال من بنى سلمة فاتبعوني. فقال قالوا لي والله ما علمناك اذنبت ذنبا قبل هذا

لقد عجزت في ان لا تكون اعتذرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر اليه المخلفون فقد كان كافيك ذنبك استغفار -

[00:07:33](#)

رسول الله صلى الله عليه وسلم لك قال فوالله ما زالوا يؤنبونني حتى اردت ان ارجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكذب

نفسى. ثم قلت لهم هل لقي هذا معى من احد؟ قالوا نعم لقيه معك رجلا. قال مثلما قلت وقيل لهما مثل - [00:07:59](#)

لما قيل لك وقيل لهما مثل ما قيل لك. قال قلت من هما؟ قالوا مرارة بن الربيع العمري قال وهلال بن امية الواقفي. قال فذكروا لي

رجلين صالحين قد شهدا بدرا فيهما اسوة - [00:08:22](#)

قال فمضيت حين ذكروهما لي ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا ايها الثلاثة من بين من تخلف عنه قال فاجتنبنا الناس

او قال تغيروا لنا حتى تنكرت لي في نفسى الارض - [00:08:42](#)

ما هي بالارض التي اعرف فلبثنا على ذلك خمسين ليلة. فاما صاحباي فاستكانا وقعد في بيوتهما يبكيان واما انا فكنت اشد القوم

واجلدهم. فكنت اخرج فاشهد الصلاة مع المسلمين. واطوف في الاسواق ولا يكلمني احد - [00:09:02](#)

واتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة ساقول في نفسى هل حرك شفتيه برد السلام ام لا ثم

اصلي قريبا منه واسارقه النظر. فاذا اقبلت على صلاتي نظر الي - [00:09:22](#)

واذا التفت نحوه اعرض عني حتى اذا طال ذلك علي من جفوة المسلمين مشيت حتى تسورت جدار حائط ابى قتادة وهو ابن عمي

واحب الناس الي. فسلمت عليه فوالله ما رد علي السلام. فقلت له يا ابا قتادة انشدك بالله - [00:09:42](#)

هل تعلمني احب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فسكت فعدت فناشدته فسكت فعدت فناشدته فقال الله ورسوله اعلم. ففاضت

عيناي وتوليت حتى تسورت الجدار فبين انا امشي في سوق المدينة - [00:10:03](#)

اذ نبطي من نبط اهل الشام يعنى من فلاحي العجم لانهم يستنبطون الماء. يخرجونه من الارض. ممن قدم بالطعام يبيع بالمدينة.

يقول من يدل على كعب ابن مالك فطفق الناس يشيرون له الي حتى جاءني فدفع الي كتابا من ملك غسان - [00:10:27](#)

وكنتم كاتباً فقرأته فإذا فيه أما بعد فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك ولم أن يجعلك الله بدار هوان ولا مضیعة. فالحق بنا نواسك
فقلت حين قرأتها وهذه أيضاً من البلاء. فتیممت بها التنور فسجرتها. حتى إذا مضت أربعون من الخمسين - [00:10:50](#)
واستلبت أو استلبت نعم يعني ابناً الوحي إذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيني فقال أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم يأمر أن تعتزل امرأتك فقلت أطلقها أم ماذا - [00:11:16](#)

قال أطلقها أم ماذا أفعل؟ قال لا. بل اعتزلها فلا تقربنها. قال وأرسل إلى صاحبي بمثل ذلك فقلت لامرأتي الحقي باهلك فكوني عندهم
حتى يقضي الله في هذا الأمر. فجاءت امرأة هلال ابن أمية رسول الله صلى الله عليه وسلم - [00:11:35](#)
فقلت له يا رسول الله أن هلال ابن أمية شيخ ضائع ليس له خادم. فهل تكره أن أخدمه؟ قال لا ولكن لا يقربن فقالت أنه والله ما به
من حركة إلى شيء. والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا - [00:11:55](#)
فقال لي بعض أهلي لو استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرأتك فقد أذن لامرأته لا لابن أمية أن تخدمه فقلت لا استأذن
فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم. وما يدريني ماذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب -
[00:12:15](#)

فلبثت بذلك عشر ليال. فأكمل لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنك إلى منى ثم صليت صلاة الفجر صباح
خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا. فبين - [00:12:35](#)
أنا جالس على الحال التي ذكر الله تعالى منا قد ضاقت علي نفسي وضاقت علي الأرض بما سمعت صوت صارخ أوفى على سلع.
يعني صعد على جبل معروف بالمدينة وهو جبل سلع. يقول بأعلى صوت - [00:12:56](#)
يا كعب بن ما لك أبشر فخررت ساجدا وعرفت أنه قد جاء فرج فاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بتوبة الله عز وجل علينا.
حين صلى صلاة الفجر - [00:13:17](#)

فذهب الناس يبشروننا فذهب قبل فذهب آ قبل صاحبي مبشرون فذهب قبل صاحبي مبشرون وركض رجل إلى فرسا وسعى ساع
من أسلم قبلي وأوفى فعلى الجبل صعد على الجبل فكان الصوت أسرع من الفرس. فلما جاءني الذي سمعت قال فلما جاءني -
[00:13:35](#)

الذي سمعت صوته يبشرنى نزعته له ثوبي فكسوتهما إياه ببشراه. والله ما أملك غيرهما يومئذ تعرفوا واستعرت ثوبين فلبستهما
وانطلقت أتأمم أقصد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يتلقاني الناس فوجا فوجا يهنئونني بالتوبة ويقولون لي لتهنك توبة الله -
[00:14:06](#)

عليك حتى دخلت المسجد فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس حوله الناس فقام طلحة بن عبيد الله عنه يهرول حتى
صافحني وهنأني والله ما قام رجل من المهاجرين غيره. فكان كعب - [00:14:36](#)
قال والله ما قام رجل من المهاجرين غيره فكان كعب لا ينسأها لطلحة. قال كعب فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو يبرق وجهه من السرور قال فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال - [00:14:57](#)
وهو يبرق وجهه من السرور أبشر بخير يوم مر عليك. منذ ولدتك أمك فقلت أمن عندك يا رسول الله؟ أم من عند الله؟ قال لا بل من
عند الله عز وجل. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم - [00:15:20](#)

إذا سر استنار وجهه حتى كأن وجهه قطعة قمر. وكنا نعرف ذلك منه. فلما جلست بين يديه قلت يا رسول الله أن من توبتي أن انخلع
من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم - [00:15:39](#)
أمسك عليك بعض ما لك فهو خير لك. فقلت أني أمسك سهمي الذي بخير. وقلت يا رسول الله أن الله قال إنما أنجاني بالصدق. وإن
من توبتي أن لا أحدث إلا صدقا ما بقيت. فوالله ما علمت أحدا من المسلمين - [00:15:59](#)
إبلاه الله تعالى في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن مما إبلاني الله تعالى والله ما تعمدت كذبة
منذ قلت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومي هذا. وأني لأرجو أن يحفظني - [00:16:19](#)

الله تعالى فيما بقي. قال فانزل الله تعالى لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة اسرة حتى بلغ انه بهم رؤوف رحيم. وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت - [00:16:39](#)

وضاقت عليهم انفسهم وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه. ثم تاب عليهم ليتوبوا. ان الله هو التواب الرحيم يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين. قال كعب والله ما انعم الله علي من نعمة - [00:16:59](#)

بعد اذ هداني الله للاسلام اعظم في نفسي من صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اكون كذبتة فاهلك كما هلك الذين ان الله تعالى قال للذين كذبوا حين انزل الوحي شر ما قال لاحد. فقال الله تعالى سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم - [00:17:19](#)

اليهم لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم انهم رجس. وماؤاهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون. يحلفون لكم لتعرضوا عنهم فان تعرضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين. قال كعب كنا خلفنا ايها الثلاثة عن امر اولئك الذين قبلوا - [00:17:45](#)

منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حلفوا له فبايعهم واستغفر لهم وارجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم امرنا حتى قضى الله تعالى فيه بذلك. قال الله تعالى وعلى الثلاثة الذين خلفوا. وليس الذي ذكر - [00:18:05](#)

مما خلفنا تخلفنا عن الغزو وانما هو تخليفه ايانا وارجاؤه امرنا عمن حلف له واعتذر اليه فقبل منه. متفق عليه فهذا حديث عظيم في توبة الله تعالى على كعب ابن مالك وصاحبيه ونسأل الله تعالى ان - [00:18:25](#)

يغفر لنا ويتوب علينا. والحديث فيه فوائد جلية. ولكن آآ تأتي على شيء من هذه باذن الله في المجلس القادم. نسأل الله تعالى ان يغفر لنا ويرحمنا. نسأله تعالى ان يغفر لنا ويتوب - [00:18:51](#)

وعلى والدينا وعلى المسلمين والمسلمات الاحياء منهم والاموات. والحمد لله رب العالمين. وصلى الله وسلم على نبينا محمد على اله وصحبه اجمعين - [00:19:11](#)